

الكشاف

ومنه : الماشية للتفاؤل كما قيل لها : الفاشية . قال رسول الله ﷺ : " ضموا فواشيكم " ومعنى " واصبروا على الهتكم " : واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرء : " وانطلق الملاء منهم امشوا " بغير أن على إضمار القول . وعن ابن مسعود : " وانطلق الملاء منهم يمشون أن اصبروا " " في الملة الآخرة " في ملة عيسى التي هي آخر الملل لأن النصرى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة . أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا . أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين . والمعنى : إنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد ﷻ . ما " هذا إلا اختلق " أي : افتعال وكذب . " أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا العذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموت والأرض وما بينهما فليترتقا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب " أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم ورؤوسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا : " لولا نزل هذا القرءان على رجل من القرئتين عظيم " الزخرف : 31 ، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم " بل هم في شك " من القران يقولون في أنفسهم : إما وإما . وقولهم : " إن هذا إلا اختلق " كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد " بل لما يذوقوا عذاب " بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني : أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسه العذاب مضطرين إلى تصديقه " أم عندهم خزائن رحمة ربك " يعني : ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شأؤوا ويصرفوها عن شأؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صنائدهم ويترفعوا بها عن محمد E . وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها : العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال : " أ هم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا " الزخرف : 32 ، ثم رشح هذا المعنى فقال : " أم لهم ملك السموت والأرض " حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال : فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يحق له " فليترتقا في الأسباب " فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويحبروا أمر العالم وملكوت ﷻ وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله : " جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب "

يريد : ما هم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثرث لما به يهدون . وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرء القيس :

وحدث ما على قصره .

إلا أنه على سبيل الهزء و " هنالك " إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله : لست هنالك . " كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب لئكة أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء إلا صيحة وحدة ما لها من فواق " " ذو الأوتاد " أصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده قال :

والبيت لا يبتنى إلا على عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد .

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود :

في ظل ملك ثابت الأوتاد